من أجل هذا طلقتك

عبد المنعم الهاشمي

دار الإيمان
إسكندرية

obeikandl.com

محفوظة
جميع الحقوق

رقم الإيداع ٢٠٠٣/٣٢٣٤

الترقيم الدولي

977-331-971-1

دار الأفيان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع جليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون فاكس: ٥٤٥٧٧٦٩٦ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

دار العمدة للنشر والتوزيع
١٩ شارع جليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون فاكس: ٥٤٥٧٧٦٩٦ ت: ٥٤٤٦٤٩٦
E-mail:dar-aleman@hotmail.com

obeikandl.com

من أجلِ هذا طلقتُك

حاتمُ بنُ عبدِ الله بن سعد الطائيُّ من أشهرِ أجوادِ العربِ وكرمائِهم في الجاهليَّة، يُعرف حاتم الطائي بسيِّدِ الكرماءِ والأجوادِ. مات نحو سنة ٤٥ قبل الهجرة.

كان كرمُ حاتم يزعجُ زوجته «ماوية» فقد كانت تحْسبُ كرمه مذمَّةً وإسرافًا، وتظن أنَّ البخلَ والشحَّ الذي يوفر المال هو أفضلُ من الكرم والسخاء.

ولكي نتعرَّفَ على كرمِ حاتمِ الطائيِّ أشهرِ أجوادِ العربِ في الجاهليَّةِ نذكر مشاهدَ كثيرةً منها، أنَّه كان يملك فرسًا تتحدث بها العربُ كلُّها في العدو والسرعة والرشاقة والجمال، حتى إنَّ خبراء الخيل آنذاك قالوا فيها شعرًا، فما كان من مجموعة من فرسان العرب الذين يعرفون قيمة الخيل الذي لا تُقدرُ بمال إلاَّ أن حملوا أكياسًا من الذهبِ والدراهم، وأضمروا النيَّةَ على أن يدفعوا أيَّ مبلغٍ وأيَّ ثمنٍ مهما كان ضخمًا في هذه الفرس العربيَّة الأصيلة التي يملكها حاتم الطائي أشهر كرماء العرب.

اقترب موكبُ الضيوفِ من بيت حاتم الطائي فرحَّبَ بهم، وكعادته في إكرام الضيف فقد تلفتَ حوله فلم يجدْ ما يقدمُه لضيفه من طعامٍ فقد نَفِدَتْ غنمُه، ولا يملك من الإبل شيئًا، فما كان منه إلاَّ أن ذبح فرسَهُ وأعدَّها طعامًا شهيًا وقدَّمه لضُيوفه، ولما أقبل الضيوفُ على الطعام تحدث أحدهُم عن فرسِ حاتم يريدونها بأيِّ ثمن.

فأجاب حاتم: وَدِدتُ لو كانت لكم بغير ثمن ولكني صنعتها طعامًا لكم.

أصابت الدهشةُ ضيوفَ حاتم ولكنهم أدركوا على الفور أنهُ حاتم الطائي أشهرُ أجوادِ العربِ وأكرمُهم وأسخاهم.

مروءة حاتم الطائي:

وكان حاتم الطائي رجلاً صاحبَ مروءةٍ وكرم، وكان يقصدُه من العربِ الشرفاءُ والشعراءُ الشجعانُ، وكان هناك رجلٌ يُقال له عبد قيس بن حفاف البرجُمي، جاء إلى حاتم الطائي في دماءٍ حملها عن قومه يجب أن يدفع

عنها ديةً لأعدائهم، ولكن قومهُ أخلفوا وعدهم ولم يقوموا بواجبهم، فأسلموه فيها، وأوقعوهُ في مأزقها حتى عجز عن دفعها؛ **فقال**: والله لآتين من يحملها عني، وكان عبد قيس هذا شريفًا شاعرًا شجاعًا، فقصد إلى حاتم الطائي، فلما قدم عليه، **قال**: إنَّه يا كريم العرب وقعت بيني وبين قومي دماء فتواكلوها ـ أتكل بعضهم على بعض ـ وإني حملتهُا في مالي وأهلي، فقدمت مالي وأخرَّت أهلي، وكُنتَ يا كريم العرب الأملَ الباقي بعد الله، فإن تحملتها فربَّ حقٍ قد قضيتَه عني، وهَمٍّ قد كفيتنيه، فإن منعك من السداد عني مانع لم أذْمُم يومَك، ولم أيأس من غدِك، وأنشأ شعرًا يرجوه فيه أن يُسدِّدَ عنه هذ الدين، **وقال له**:

حملت دماءً للبراجم جَمَّةً ▫■▫ فجئتك لمَّا أسلمتني البراجمُ

وقالوا سفاهًا: لم حَمَلتَ دماءنا ▫■▫ فقلت لهم: يكفي الحمالة حاتمُ[1]

فقال له حاتم: إني كنتُ لأحبُّ أن يأتيني مثلك من قومك، فخذ هذا نصيبي من الغارة على بني تميم فخذه وافرًا، فهو مائتا بعيرٍ سوى بنيها وفصالها (صغارها) فإن كان

---

(١) «ذيل الأمالي» (٢٢)، و«السمط» (١٢).

* من أجل هذا طلقتك

يكفي مـا عليك من دينٍ وحمـالةٍ فذلك خيـر وإن لم تكف فسوف أكملها لك. ولا أحبُّ أن تروِّعَ قومكَ بأموالهِم.

دَهِشَ عبد قيس البرجمي من كثرة عطاء حاتم حتى قال مندهشًا: أيّ بعير دفـعته إليَّ، وليس ذنبه في صاحـبه فأنت منه برئ، فـأعطاه حاتم الإبل وزاده مـائة بعيـرٍ، فأخـذها وانصرف راجعًا إلى قومه قانعًـا، وقد كان متأكدًا من جود حاتم الطائي أشهر العرب كرمًا وقال حاتم في ذلك:

أتاني البُـرْجُمي أبو حـيـيل ▫■▫ لهمٌ في حـمـالتـه طويل.
فقلت له: خذ المرباع منها[1] ▫■▫ فـإنى لستُ أرضى بالقليل
فـلا مَنٌّ عليك بهـا، فـإنّي ▫■▫ رأيت المنَّ يُزرى بالجـمـيلِ.

وكانت ماويـة زوجة حاتم تئن في نفسـها دون أن تبوحَ وذلك من كرم زوجها ونترك ماوية نفـسها تتحدثُ عن كرمِ حاتم الطائي زوجها.

تقول ماوية: أصابتنا سَنَةٌ اقشعـرَّت لها الأرض، وأغْبرَّ أُفقُ السـماءِ وراحت الإبلُ تمشي ضـامرةً من شـدةِ الجوع

---

(١) **المرباع:** ما يأخذه الرئيس من الغنيمة خاصة، دون أصحابها وهو ربع الغنيمة.

وضنتِ المراضعُ على أولادِها لشُحِّ اللبن في ثديها، فما تسيل بقطرةٍ تُرضع بها صغارها، وشحَّ المالُ والطعامُ في هذه السنةِ، وايقنَّا بالهلاكِ، فو الله بينما نحن في ليلة باردة، بعيدة ما بين الطرفين، إذ تصايح أطفالُنا وصبيتُنا جوعًا، عبد الله ابن حاتم وعدي، وسفانة، فقام حاتم إلى الصبيين عبد الله وعدي، وقمت أنا إلى الصَّبية سفانة بنت حاتم وأقبل يعلّلني بالحديث ليواسيني، فعرفت ما يريدُ، فتناومت وأدعيت أن النومَ يداخل جفوني.

فلما مضى الليل وغربت النجوم، إذا شيء رفع ستر الخيمة التي نحن فيها ثم عاد، **فقال حاتم**: من هذا؟ فسمع صوت جارتِنا، **قالت**: جارتك فلانة، أتيتُك من عند صبيةٍ يبكون ويتعاوون عواء الذئب من الجوع، فما وجدت غيرك يا حاتم، وما وجدت مُعوَّلاً إلاَّ عليك ياأبا عدي. **فقال**: أحضريهم على الفور، فقد اطعمك الله واشبعك وإيَّاهم! فهرولت المرأةُ سريعًا لتحضر أولادَها، فأقبلت تحمل اثنين ويمشي بجانبها أربعة، كأنها نعامةٌ حولها أولادُها.

فقام حاتم إلى فرسِه فطعن رقبتها بسكين فخرت مذبوحة، ثم كشطه عن جلدها وسلخه، ودفع السكين إلى المرأة جارتِه فقال لها: هيا أعدِّي الطعامَ.

تقول ماوية زوجة حاتم: فاجتمعنا على اللحم نشوي ونأكل، ثم جعل يمشي في الحي يطوف على الناس جميعًا بأبياتهم بيتًا بيتًا ورجلاً رجلاً وطفلاً طفلاً، فيقول: هبوا أيُّها القوم، عليكم بالنار فاجتمعوا، والْتَفَع في ثوبه، وجلس في ناحية ينظر إلينا، فو الله ما ذاق من اللحم قطعة صغيرة، على الرغم من أنَّه أحوج إليه منَّا لشدِّة ما أصابه من الجوع الشديد، فأصبحنا وما على ظهر الأرض من الفرس إلاَّ عظم وحافر، أي قضوْا على اللحم كله وأكلوه.

فأنشأ حاتم يقول لامرأته التي تلومه على إنفاق المال:

مهلا نَوَارِ أَقِلِّي اللوم والعَذَلا ▫■▫ ولا تقولي لشيء فات ما فعلا
يرى البخيلُ سبيلَ المالِ واحدةً ▫■▫ إنَّ الجوادَ يرى في مالهِ سُبُلاَ

هنا يقول لامرأته واسمها نوار ألاَّ تلومه على إنفاق المال، فالبخيل يرى للمال طريقًا واحدًا وهو كنزه وعدم إنفاقه وحرمان نفسه والناس من الرزق الذي أرسله الله

له، أمَّا الجوادُ الكريم فيرى في مالـه طُرقًا كثيرة هي إعانة المحتاج وإكرام الضيف والإنفاق في وجوه الخير.

عاشت ماويةُ زمـنًا طويلاً مع حاتم الطائي فقد أحـبها وأحبـته، لأنهـا كانت من أحـسنِ النساءِ وأجمـلِ النساء ـ وظلت عشرة الزوجيَّةِ طويلةً، لا ترى فيها ماويةُ غير شيء واحد يتكرر وهو للحق شيء مثير وجميل يملأ الدنيا حركة وجمالاً وسخـاءً وجودًا، هذا الشيء هو مال حاتم الطائي الذي يأتيـه بآلاف الإبـل بل بعـشـرات الآلاف من الإبل والغنم والخـيل، وكل صنوف الأمـوال في عـصـره قـبل الإسلام بعشراتِ السنين، وكان هذا المال يأتي بكثرة شديدة تجعل مـاوية زوجة حاتم فـي عزٍّ ما بعـده عزٌّ وسعـادةٍ ما بعدها سعـادةٌ، إلاَّ أنها كانت تجد مصارفَ هذا المال كـثيرةً فيصبح حاتم الطائي في الطائيين ويُمـسي افقرَهُم من كثرة إنفاقه فتحزن ماويةُ وتتجه لحاتم باللومِ الشديد.

وتقول له: أنت مُهْلِكُ أموالنا لا تُبـقي لنفسك ولأبنائك الثلاثة شيئًا فابنك عـدي وابنك عبد الله، وابنتك سُفانة تمرُّ

بهم أيامٌ لا يجدون ما يسدُّ رمقهم من الجوع، ثم ما تفتأ تنتهي من حديثها حتى ينهمر المالُ الحلالُ كالمطر على حاتم فتسكت حائرةً بين السعادة والحزن لمجيء وضياع المال.

عودة إلى قصة زواج حاتم من ماوية:

على الرغم من كل ما ذكرناه عن ماوية من كرهٍ لسخاءِ حاتم وإنفاقه وكرمه فلنعد إلى قصة زواجها من حاتم لنجد أن الكرم هو مهرها المشروط ـ وهي عربية من بنات ملوك اليمن، كانت ذاتَ جمالٍ وكمالٍ، وحَسَبٍ ومالٍ، فآلت على نفسها ألاَّ تتزوج إلاَّ من كريمٍ، ولئن خطبها لئيم لتجدعَنَّ أنفه فتحشاها الناس حتى أسرع إليها زيد الخيل وكان كريمًا، وحاتم الطائي وهو أشهر كرماء العرب وأوس بن حارثة وكلُّهم من طئ «طائيون» ـ فارتحلوا إليها. فلما دخلوا عليها ،قالت: مرحبًا بكم، ما كنتُم زُوَّارًا، فما الذي جاء بكم؟

قالوا: جئنا زُوَّارًا خُطَّابًا، **قالت:** أكْفاءٌ كرام.

ثم رحَّبتْ بهم وانزلتهم، وفرَّقتهم فجعلت لكلٍّ واحد منهم مكانًا ينزل فيه وزادت في ضيافتهم وإكرامهم.

فلما كان اليوم الثاني بعثت بعض جواريها، في زي فقيرةٍ سائلةٍ تطلب منهم مالاً كل واحدٍ على حدةٍ فبدأت بزيد الخيل، فأعطاها نصف ما حمل من مال. ثم ذهبت لأوس، فأعطاها نصف ما حمل من مال. ثم ذهبت لحاتم فأعطاها كلَّ ما كان في يده من مال وحمل إليها جميع ما حُمل إليه.

فلما كان اليوم الثالث دخلوا عليها، **فقالت:** ليصف كل واحد منكم نفسه في شعره فوصف زيد نفسه بأنَّه صاحب المعارك الكبرى بينه وبين العرب وذكر الدماء والقتل.

وقال أوس بن حارثة: إنَّكِ لتعلمين أنَّا أكرمُ أحسابًا، وأشهر أفعالاً من أن نصف أنفسنا لك، ثم ذكر شعرًا قيل فيه.

أما حاتم الطائي: فقد تحدث عن صفةِ الكرمِ وعلاقتها بالمال، **فقال شعراً جاء فيه:**

أَمـــاويُّ إنَّ المال غَـــادٍ ورائحٌ ويبقى من المالِ الأحاديثُ والذكرُ

بيَّن لهـا حاتم أنَّ المـال يزول ويأتى، يجيء ويذهب، ولا يبقى منه إلا الأحـاديث وذكر ما يُفعل به، فـإن كان كرمًا أُثنى عـلى صاحبه وأن كان بخـلاً كرهه الناس، أى كرهوا صاحب المال.

تزوَّج حـاتم مـاوية، وقلنـا إنَّهـا كـانت من أحـسن النساء، فلبـثت عنده زمنًا، ولكنها وجـدت ابن عم حاتم الطائي وهو مالك الطائي **يقـول لهـا:** يا ماوية مـا تصنعين بحاتم؟ فوالله لئن وجد شيئًا لَيَتْلِفَنَّهُ، ولئن لم يجد ليتلفنَّ ولئن مات ليتركنَّ ولدهَ عـالةً على قومه. ثم سكت قليلاً وماوية لا تُعلِّق.

ثم عاد فبادر ماويةَ قائلاً: طلِّقي حاتمًا وأنا أتزوجُ بك، فأنـا خيـرٌ لك منه، وأكثـر مالاً منه وأنا أمـسك عليك وعلى ولدك.

فقالت ماوية لمالك: صدقت، إنَّه لكذلك.

وظل مالك يراودها في أمر طلاقها من حاتم إلى أن طَلَّقَتْ حاتمًا.

كان النساء أو بعضهن يُطلقن الرجال في الجاهلية، وكان طلاقهن أنَّهنَّ يحولن أبواب خيامهن إلى جهةٍ أخرى، فإن كان البابُ إلى المشرقِ جَعَلْنه إلى المَغْرب؛ وإن كان البابُ قِبَلَ اليمنِ جعلنه قِبَلَ الشام، فإذا رأي ذلك الرجل علم أنها قد طَلَّقَتْهُ.

فأتى حاتم فوجدها قد حوَّلت باب الخباء، **فقال لابنه:** يا عديُّ، ما ترى أمك؟ ما عدا عليها؟ ـ كانت أمارات الحزن تبدو على عديّ.

فأجاب أباه قائلاً: لا أدري! غير أنها غيَّرت باب الخِباء، وكأنه لم يفطن لما قال.

ثم أخذ حاتم ابنه عديّ وترك الدار وهبط به بطن وادٍ بن الأودية.

وكانت دار حـاتم الطائي معروفـةً للناس ينزلون عنده ويأكلون من طعامه.

وجاء قـوم ممن يعرفـون هذا البيـت وصاحبـه الكريم فنزلوا على باب الخبـاء (البيت) كما كانوا يـنزلون فتوافى عددهم خـمسين رجلاً، حـتى ضاقت بهم مـاوية ذرعًا. ففكرت ماذا تفعل؟

فقالت لجاريتها: إذهبي إلى مالك، **فقولي له:** إن أضيافًا لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمـسون رجلاً، فأرسل إلَيْنا بناتٍ أي: إبل وغنم ولبن نسقيهم ونطعمهم.

وقالت لجاريتها: أنظري إلى جبينه وفـمـه، فإن أجابك بالمعـروف فاقـبلي منه وإن ضـرب بلحـيتـه على زَوْرِه، فارجعي ودعيه.

فلمـا أتت الجـارية مـالكًـا الذي طلقـهـا من حـاتم ليتزوجها وجدته يربط إناء اللبن في حسمه ومتوسدًا به!!

فايقظته وأبلغته رسالة ماوية؛ وقالت: إنما هي الليلة حتى يعلمَ الناس مكانك فأدخل يده في رأسه، وضربَ بلحيته على زَوْرِهِ بُخلاً وشحًا.

وقال لها: اقرئي ماويةَ السلامَ، وقولي لها: هذا الذي أمرتك أن تطلقي حاتم الطائي من أجله، فما عندي لبن أسقيه لأحد، وما عندي ناقة غزيرة باللحم، وما عندي شيء يكفي أضياف حاتم! فرجعت الجارية فأخبرت ماوية بما رأت من مالك، واعلمتها بما قاله لها.

فقالت ماوية للجارية: ويلك! إئتي حاتم فقولي له: إن أضيافك قد نزلوا الليلة بنا، ولم يعلموا بمكانك، فأرسل إلينا بشاهِ أو ناقة ننحرها ونطعمهم بها، وبلبن نَسْقِهِمْ، فإنما هي الليلة حتى يعرفوا مكانك وبعدها يذهبوا إليك!!.

فأتت الجارية حاتمًا فصاحت به، **فقال حاتم:** لبيك قريبًا دعوت!

فقالت: إنَّ ماويَّة تقرأ عليك السلامُ؛ وتقول لك: إنَّ أضيافك قد نزلوا بنا الليلة، فأرسل إليهم بناقة ننحرها ولبن نسقهم.

فقال: نعم وأبي! ثم قام إلى الإبل فأطلق ناقتين كبيرتين ثم صاح بهما حتى أتى دار ماوية، فذبحهما.

فجعلت ماوية تصيح، **وتقول:** هذا الذي طلقتك فيه! تترك ولدك وليس لهم شيء!.